منارات

manarat

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

فخري كريم

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

www.almadasupplements.com

العدد (5009) السنة التاسعة عشرة - الاربعاء (25) آب 2021

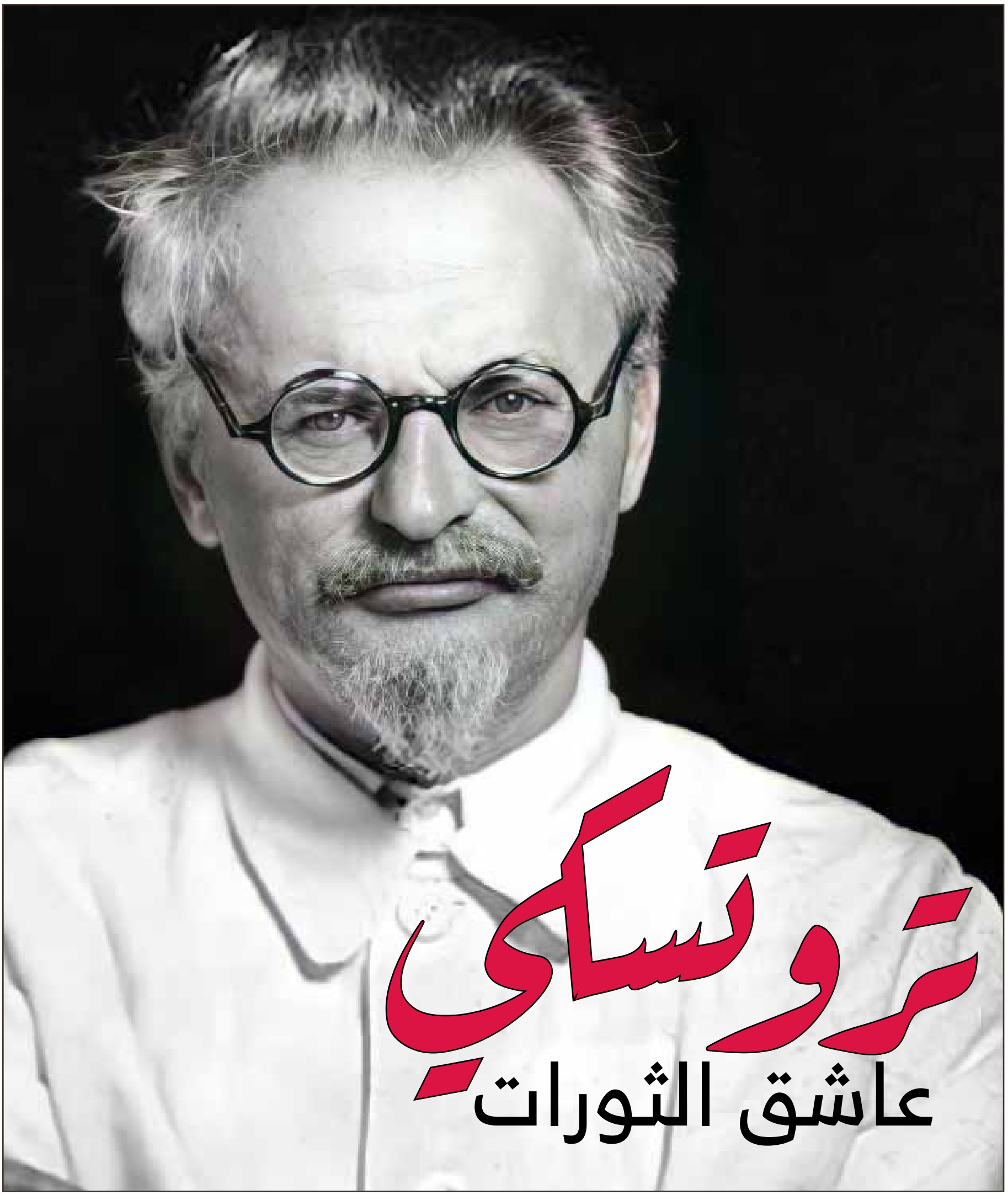

تروتسكي

عاشق الثورات

80 عاما على رحيل تروتسكي عاشق الثورات

علي حسين

بعد سلسلة من محاولات اغتيال فاشلة تعرّض لها قرر"بكل بساطة من غير المنطقي ترك الأمور هكذا". كان في الحادية والستين من عمره، عندما استيقظ في صباح يوم السابع والعشرين من شباط عام ١٩٤٠، ليذهب باتجاه مكتبه، قال لنفسه لم يعد الأمر يحتمل التأخير، جلس وكتب وصيته، لم يفعل ذلك إلا لهدف قانوني، كان يريد أن يضمن لزوجته وراثة حقوقه كمؤلف.. كانت الوصية أشبه برسالة يعلن فيها أن نهايته باتت وشيكة..

لم يخطر بباله أنه سيموت على يد قاتل متحمس: "إن ضغطي الدموي المرتفع والمستمر بالارتفاع يخدع من هم بقربي بشأن وضعي الحقيقي. فاناً نشيط وقادر على العمل. لكن النهاية قريبة بالطبع"، كان يعتقد أنه في طور متقدم من تصلب الشرايين وأمراض القلب وإن طبيبه الخاص يخفي عنه الحقيقة.. كان مرض صديقه فلاديمير لينين وإصابته بالشلل غالباً ما كان يحضر في ذاكرته، فقد كان يأمل أن يفاجئه الموت وهو في السرير لأنها حسب قوله "ستكون أفضل نهاية يمكن أن يتمناها". أدرك أنه أراد من الحياة أشياء كثيرة، وأحس بـ"غنى الواقع الهائل". كانت الوصية شخصية جداً، يعلن فيها بسطور قليلة أنه ليس ثمة حاجة لأن يدحض افتراءات ستالين ضده، لأنه ليس من لطخة واحدة تلوث شرفه الثوري، وأن جيلاً جديداً سيعيد له مكانته وسينتصر للثورة التي غدر بها.. لا تتضمن الوصية أية نصائح سياسية، فقد كرسها لتحية ناتاليا: "بالإضافة الى الغبطة التي منحتني إياها كوني مقاتلاً لأجل قضية الاشتراكية. منحني القدر سعادة أن أكون زوجها. فخلال قرابة أربعين عاماً من الحياة المشتركة، بقيت نبعاً لا ينضب من المحبة والشهامة والحنان. لقد عانت آلاماً طويلة.. لكني أجد تعزية في كونها عرفت كذلك أيام سعادة».

كان قبل أيام يجلس مع زوجته ناتاليا في صالة المنزل الذي تحوّل إلى ما يشبه القلعة، فقد أضيف المزيد من الفولاذ إلى الأبواب والنوافذ، فيما جُنّد جيش من الحراس للمراقبة، قال لها وهو يمسك بكف يدها: "طوال الثلاثة والأربعين عاماً من حياتي الواعية. كنت ثورياً، وطوال اثنين وأربعين عاماً، قاتلت تحت راية الماركسية، ولو كان علي أن أعود من البدء، لكنت حاولت تحاشي هذا الخطأ أو ذاك، لكن مجرى حياتي الرئيس يبقى على حاله دون تبديل. سأموت ثورياً، ماركسياً، وليس إيماني بمستقبل البشرية أقل اتقاداً، أنه في الحقيقة أكثر صلابة، حالياً، مما كان أيام صباي" ثم اقترب منها أكثر وهو يقول: "الحياة جميلة فلننظفها للأجيال القادمة من كل شر".

كان قد أخبر المقربين منه إنه اتفق مع ناتاليا على أن من الأفضل الانتحار بدل ترك العمر يحوّل المرء الى حطام: "احتفظ لنفسي بحق لحظة تحديد موتي. لكن مهما تكن ظروف هذا الموت، سأموت بإيمان لايتزعزع في المستقبل الشيوعي، هذا الإيمان بالإنسان وبمستقبله يمنحني، حتى في هذا الحين، قدرة على المقاومة».

في تلك الأيام أيضاً كان جوزيف ستالين قد قرر أن لا يترك ليون تروتسكي وقتاً أطول على قيد الحياة.. في عام ١٩٣٦ كتب تروتسكي كتابه الشهير "الثورة المغدورة"، وقد تمّ مصادرة نسخ منه في الاتحاد السوفييتي أدخلها بعض البحارة سراً، كان ستالين يقول لمن حوله إن هذا الكتاب أشبه بالديناميت.

في الثالث والعشرين من أيار عام ١٩٤٠ أيقظته ضجة شبيهة بمعركة بالرشاشات، ولما كان متعباً حيث قضى النهار كله يكتب، اعتقد أن الأمر يتعلق بمكسيكيين يحتفلون باطلاق الألعاب النارية، لكن الإنفجارات كانت قريبة جداً: "في قلب الغرفة القريبة مني بالذات وفوق رأسي. غدت رائحة البارود أكثر حدةً ونفاذاً كانوا يطلقون علينا النار" كانت نتاليا قد قفزت من السرير وجعلت من جسدها متراساً له، وبعد لحظة أجبرها على التمدد على الأرض، الرصاص لا يزال ينهمر. بقيا مختبئين في الظلمة، بصمت، فيما كان المهاجمون يطلقون الرصاص عبر النوافذ والأبواب، تكتب ناتاليا فيما بعد:»ثم خيم الصمت.. صمت لا يحتمل، كنت أفقد قوتي نتيجة التوتر واليأس، وفكرت أنهم سيعودون بين حين وآخر للاجهاز عليه»، في نظر تروتسكي كان الحظ هو الذي أبقاه على قيد الحياة، كان ينهض كل صباح ويقول لزوجته: «أترين، فهم لم يقتلونا في الليلة الماضية، ومع ذلك فأنت لا تزالين مستاءة».. بعد يومين قال لناتاليا وهو يضحك: «لقد حصلنا على تأجيل للتنفيذ».

بعد ثلاثة أشهر على الغارة الليلية، وفي صباح العشرين من أب ١٩٤٠ استيقظ في السابعة صباحاً، توجه الى مكتبه ، كانت إحدى الصحف قد طلبت منه أن يكتب مقالاً عن الحرب التي تخوضها النازية ضد العالم، كتب أن: "الحرب الحالية هي، كما سبق أن أعلنا في أكثر من مناسبة، استمرار للحرب الأولى، لكن الاستمرار ليس تكراراً بل (تطوير، تعميق، مفاقمة)".

بعد ساعات طلب جاك مونار الإذن بالدخول عليه.. كان قد تعرف على جاك قبل أكثر من خمسين يوماً، ففي الثامن والعشرين من أيار ١٩٤٠ وجد تروتسكي نفسه للمرة الأولى أمام شاب قدم نفسه كمتسلق للجبال، ومحب للتروتسكية، وقدم عرضاً لمساعدة الحركة مالياً، وكان بين الحين والآخر يقول إنه بصدد إعداد كتاب عن الحركة الأممية.. كانت ناتاليا تتساءل أحياناً لماذا يكثر هذا الشاب من زياراته، في ذلك اليوم كان جاك مونار يرتدي معطفاً، عرضت عليه زوجة تروتسكي الشاي، سألته إنْ كان قد انتهى من كتابه، فقال لها إنه جلب المخطوطة معه، كانت رزمة أوراق يحملها بيده، في غرفة المكتب جلس تروتسكي وأنحنى على الأوراق التي قدمها له جاك، كان قد تصفح الصفحة الأولى حين تلقى ضربة رهيبة على رأسه، كان جاك قد أخرج الفأس وأغمض عينيه وبكل قوته وجّه الضربة الى الجمجمة المنحنية على الأوراق، يذكر جاك مونار فيما بعد هذه اللحظة فيكتب: "أطلق الرجل صرخة لن أنسى صداها ما حييت.. كانت صرخة طويلة طويلة.. وما زالت تطرق رأسي".. بعد يوم واحد" ٢١ آب" توفي تروتسكي متأثراً بجراحه.

×××××

في تشرين الأول من عام ١٩٣٥ احتفل بعيد ميلاده السادس والخمسين، في ذلك اليوم تذكر ما قاله له لينين ذات يوم: هل تعرف ما هو أسوأ الآفات، أن يكون سن المرء أكبر من الخامسة والخمسين" لكن لينين لم يعش ليبلغ هذا العمر، توفي وهو في سن الرابعة

والخمسين: "هذا هو قدرنا، معركة نضال بعد أخرى، ضد التفاهات السياسية والحماقات، وضد الانتهازية" تلك كانت المهمة التي قالها له لينين عام ١٩١٦، لا يزال تروتسكي يتذكر صاحبه الذي قاد الثورة معه. يكتب في يومياته: "لا يوجد قط رجل عمل على قدر من الإخلاص مثل لينين"، كان الاثنان يؤمنان أن النظرية والتطبيق ل اينفصلان، يكتب لينين: "بدون نظرية ثورية، لا يوجد عمل ثوري، كان لينين دائماً ما يستشهد بالخلاصة التي وضعها غوته في مسرحية فاوست: "النظرية رمادية، والأخضر، إنما هو شجرة الحياة الخالدة».

في كانون الاول عام ١٩٣٥ كان الأطباء قد نصحوه بأن يستريح قليلاً، فالاضطرابات التي تحدث في صحته تحيّرهم، لكنه يريد أن يكتب وصيته السياسية، ففي بلاده لا يزال الرفيق القديم ستالين يشوه مفاهيم الثورة التي حددها لينين، وكان أبرزها ان يرفض المحكومون، بفعل بؤسهم ويأسهم وغيظهم، مواصلة الحياة كما هي في السابق.. في السادس عشر من كانون الأول عام ١٩٣٥ يبدأ يخط الجملة الأولى من كتابه الثورة المغدورة: "السؤال الذي نطرحه باسم القارئ، وهو: كيف استطاعت الزمرة الحاكمة، رغم أخطائها التي لا تعد، الحصول على سلطة لا حدود لها".. يحتل كتاب "الثورة المغدورة" الذي نشر عام ١٩٣٦ ووصلت منه نسخة على مكتب ستالين بعد أيام من صدوره، مكانة خاصة ضمن مؤلفات تروتسكي، فهو الكتاب الأخير الذي أنجزه، وهو أيضاً كان السبب في الإسراع بإصدار قرار للتخلص منه، وقد قدّم فيه تحليل للمجتمع السوفييتي ورؤية نقدية لتاريخ الثورة الروسية، حتى منتصف حكم ستالين، فهو يناقش به موضوعات حول الاشتراكية والصعوبات التي ينبغي أن تتصدى لها الثورة البروليتارية ودور البيروقراطية والاستبداد في حرف الثورات عن مسيرها، وفيه أيضاً تحليل لوضع الاتحاد السوفييتي قبل الحرب العالمية الثانية، ورؤية حول المستقبل. يكتب اسحق دويتشر أن كتاب الثورة المغدورة إنما هو منشور للأزمنة القادمة، وإعادة عرض خلاقة للمفاهيم الماركسية.. ونجد تروتسكي يقدم شهادته على مرحلة حاسمة من الحقبة السوفيتية..كان ستالين قد أعلن إن الاتحاد السوفييتي أنجز بناء الاشتراكية وإن "دستوراً جديداً هو الأكثر ديمقراطية في العالم سوف يمثل الحقبة الجديدة"، لكن تروتسكي أخذ على نفسه مهمة دحض الكتابات التي ينشرها صديقه اللدود ستالين عن الثورة والماركسية والمادية، وقرر أن المجابهة يجب أن تكون بالفهم الماركسي الكلاسيكي للاشتراكية.. وقد بيّن في الثورة المغدورة أن الاشتراكية تفرض مسبقاً اقتصاد وفرة، ولا يمكن أن تقوم على الحاجة والفقر، كان ستالين قد أشار إلى الرأي الذي عبر عنه ماركس بصدد أطوار الاشتراكية، الطور الأدنى حيث يكافئ المجتمع كل أعضائه وفقاً لعمله، والطور الأعلى حيث يكافئه وفقاً لحاجاته، وقد أعلن ستالين أن الاتحاد السوفييتي كان في الطور الأدنى، بينما بيّن تروتسكي في "الثورة المغدورة" إن ستالين يُسخر مفاهيم ماركس ليبرر حالة اللامساواة السائدة في الاتحاد السوفيتي، كان تروتسكي يصر على أن ينتزع أفكار لينين من النسيان وخصوصا في كتابه "الدولة والثورة" وأن يستخدمها في حربه ضد ستالين، الذي حوّل حسب تعبير تروتسكي "دولة الكومونة" الأثيرة على قلب لينين الى دولة السجن، إنها دولة من: "صنع البيروقراطيين المنتصرين، المجبرين على قطع صلاتهم بالمبادئ الأساسية للاشتراكية".. ويتأمل تروتسكي في الجملة التي قالها ماركس عن الثورات التي تحسن آلة الدولة بدلاً من أن تحطمها ويتحسر، لقد مضى عشرون عاماً على الثورة البلشفية التي انتصرت بفضل لينين والآن أين هي هذه الدولة؟.

كان تروتسكي يدافع عن هذه الدولة في وجه ستالين، فهو يصر على أنه لا يمكن تصوّر الاشتراكية من دون اضمحلال الدولة، فالدولة كانت قد انبثقت من صراع الطبقات، واستمرت كأداة للسيطرة الطبقية، والحالة هذه فإن الاشتراكية تعني زوال التضادات الطبقية والقمع السياسي فقط تبقى الوظائف الإدارية للدولة "إدارة الأشياء لا إدارة الناس"، ظل لينين يتصوّر دكتاتورية البروليتاريا كنوع من نصف الدولة وحسب، على شاكلة كومونة باريس، دولة يكون موظفوها منتخبين يجري إقصاؤهم بالتصويت،

ويقبضون أجوراً لا تزيد عن أجور العمال، بحيث لا يتمكنون من تشكيل بيروقراطية منفصلة عن الشعب، يشرح لنا تروتسكي في "الثورة المغدورة" إن التجربة الستالينية هي ردة فعل البرجوازية الصغيرة ضد ثورة اكتوبر: "إن الجماعة القائدة تحمي مصالح أقلية من محققي المكاسب". ويتساءل تروتسكي هل أن الطبقة الحاكمة وصلت الى درجة من القوة دمّرت معها العنصر الاشتراكي؟، وضد هذه الطبقة الحاكمة يصوغ تروتسكي منهاجه للمرحلة القادمة: "ليس من حل سلمي، فالبيروقراطية لن تتخلى عن مواقعها دون معركة.. لم ير أحد حتى الآن الشيطان يقضم مخالبه بكامل رضاه". وقد دعا إلى ثورة سياسية لا ثورة اجتماعية، أي ثورة تطيح النظام الستاليني، لكنها لا تبدل طبيعة النظام الاشتراكي: "ليست الغاية أن نبدّل عصبة حاكمة بعصبة أخرى، ولكن الهدف هو تغيير طرق الإدارة الاقتصادية والثقافية نفسها، كما ينبغي للتعسف البيروقراطي أن يخلي مكانه للديمقراطية السوفييتية فالديمقراطية تقودنا في الاقتصاد الى إعادة النظر جذرياً في كل الخطط لصالح الشغيلة، كما أن المناقشات الحرة ستخفف من الأخطاء التي ارتكبتها البيروقراطية وتعرجاتها».

يكتب إسحق دويتشر: "نجد أن طريقي لينين وتروتسكي اللذان تباعدا طويلاً التقيا آنذاك، كان كل منهما توصل إلى استنتاجات بلغها الآخر قبله بكثير، وطالما اعترض عليها بحدة وصرامة، لكن لا هذا ولا ذاك وعى بوضوح إنه تبنى وجهة نظر الآخر، فبعد أن انطلقا من نقاط مختلفة، وعبر مسارات متباينة، انتهيا الآن الى التلاقي».

××××××

في جنوبي اوكرانيا ووسط المزارع، كان يقيم دافيد ليونيتيفيتش برونشتاين في المزرعة التي اشتراها قبل أكثر من عام، حيث كان يستثمر أمواله في الأراضي الزراعية مثل أجداده، أما زوجته، فكانت من بيئة مختلفة، تهوى قراءة الكتب وتذهب لتسجل اسمها في مكتبة المدينة، وبين الحين والآخر تتحدث مع زوجها عن رواية جديدة قرأتها لتولستوي أو تورجنيف، كان دوستويفسكي يسحرها بقصصه الغريبة والمؤثرة، ومن غرائب القدر أن يكون يوم السادس والعشرين من تشرين الأول عام ١٨٧٩، الذي ولد فيه الطفل الذي سيطلق عليه اسم ليون تروتسكي، سيكون هو اليوم ذاته بعد ثمانية وثلاثين عاماً الذي سيكون فيه ابن هذه العائلة أحد قادة الانتفاضة البلشفية، في السابعة من عمره يرسله والده الى مدرسة يهودية، ليدرس فيها التوراة وكانت الدروس تتضمن أيضاً قواعد اللغة الروسية والرياضيات، إلا أن إقامته في المدرسة لم تكن طويلة، فبعد أشهر قليلة اضطر والده أن يعيده الى البيت، إذ كانت تبدو على الصبي ملامح التعاسة في المدرسة، وهكذا ودّع الدراسة الدينية، وأخذ يتابع أمّه وهي تقرأ في كتب الأدب، وبعد أكثر من عام يقرر أحد أخواله أن يصطحبه معه، وخلال السبع سنوات التي قضاها مع هذا الخال أتقن اللغة الروسية، وكان الخال متحمساً لتحويل الصبي الى تلميذ متميز ففي المساء كان يلقي عليه قصائد الشعراء الكلاسيكيين بوشكين وليرمونتوف ونيكراسوف شاعرهم المفضل الذي كانت قصائده صيحة احتجاج ضد الظلم، وقد سمع للمرة الأولى برواية أوليفر تويست، وقرأ خفية كتاب البعث لتولستوي، وفي المدرسة تعلم اليونانية واللاتينية وقرأ العلوم والرياضيات وسرعان ما أصبح الأول في صفه، "لم يكن من حاجة لأحد كي يحثه على العمل أو القلق بصدد دروسه، فهو كان يعمل أكثر مما هو مطلوب منه».

كانت صورة الفتى تروتسكي تتشكل، فهو صبي جميل، بعينين حادتين خلف النظارتين، أما شعره فكان غزيراً فاحم السواد، يرتدي ثياباً أنيقة، بحيث يظهر "كبرجوازي حقيقي"، كان زملاؤه في المدرسة يعترفون بتفوقه، بعد سنوات ستغدو غرفته ممتلئة بالكتب، إن رؤية الكتب وهي على الأرض أوعلى الرفوف أو فوق المكتب تثيره، وكان يستنشق باستمتاع رائحة الورق المطبوع، تلك الرائحة التي احتفظ بميل شديد إليها حتى خلال مشاركته بالثورة، في تلك السنوات سمع للمرة الأولى بشكسبير: "عشقت كلماته عشقاً عنيفاً"، وكان مشغولاً بالمسرح: "تعلقت بالاوبرا الإيطالية، وكنت أعطي دروساً لأكسب بعض المال يخولني دفع تذاكر المسرح"، عندما يعود الى البيت يطلب منه والده أن يشرف على عمل المزرعة، يمسك السجلات ويحاسب العمال، وكان الوالد العجوز يتشاجر معه ابنه، لا سيما حين يجد الأب أن حسابات ولده تراعي العمال كثيراً، وكانت هذه المشاجرات تغذي روح التمرد داخله، في تلك الفترة سينضم الى إحدى المجموعات الثورية السرية، في سن الثامنة عشرة، بدأ يشارك في اللقاءات السياسية، ويدعو إلى الإضرابات، حتى قُبض عليه في كانون الثاني ١٨٩٨، وأودع السجن لمدة ثلاثين شهراً بتهمة التحريض على الثورة، ثم أبعد بعد خروجه إلى سيبيريا، لكنه هرب من منفاه بجواز سفر مزوّر أعدّه بنفسه باسم تروتسكي، وهو اسم السجان الذي كان يتولى أمره في السجن، فلازمه هذا الاسم طوال حياته.

سافر إلى فيينا، ومنها إلى زيورخ ثم الى لندن، حيث تقابل مع لينين عام ١٩٠٢، في كانون الثاني عام ١٩٠٥ قرر العودة إلى روسيا، فشارك في الاضطرابات والإضرابات التي اندلعت هناك، وقُبض عليه في أيلول من العام نفسه، وأودع السجن ثم نفي إلى سيبيريا مجدداً، لكنه تمكن من الهرب إلى فنلندا، وهناك قابل لينين ثانية، ثم غادرها إلى ألمانيا في هجرة طويلة امتدت عشر سنوات.

في تشرين الأول عام ١٩٠٨ أدار تروتسكي صحيفة "برافدا" وتعني بالروسية الحقيقة، أنشأها لمخاطبة جماهير العمال، وكانت تُهرَّب إلى روسيا، ودعوته الأساسية فيها كانت ضرورة القيام بثورة روسية شاملة للقضاء نهائياً على الرأسمالية وإقامة النظام الاشتراكي في أنحاء العالم كلها.

في ١٧ أيار ١٩١٧، وجد الأحوال السياسية في روسيا ازدادت سوءاً، فالقيصر تنازل عن العرش، وأسرة رومانوف بأكملها كانت في طريقها إلى الزوال من حكم روسيا، والفوضى مسيطرة على أجهزة الدولة والحكومة المؤقتة لم تتمكن من السيطرة على أجهزة الحكم، كان لينين قد سبقه في العودة إلى البلاد، بعد الإفراج عنه بدأ مع لينين يخططان في هدوء وتنظيم دقيق لقيام الثورة.

في ظهيرة الثامن من تشرين الثاني عام ١٩١٧ ظهر لينين وبالقرب منه يقف تروتسكي ليعلن أن الثورة في روسيا قد تمت.

لا يمكن الحديث عن تروتسكي، دون أن نضيف بضع كلمات عن اسحق دوتشر الكاتب المتميز الذي اتحفنا بثلاثة مجلدات أسهب فيها بالحديث عن حياة تروتسكي وافكاره، ولا يمكن ان نتخيل أن هناك من يستطيع القيام بكتابة سيرة هذا الماركسي الثائر مماثلة لما قدمه دوتشر من حيث كونها مرجعا واضحا كاملا.. ولهذا لا تزال هذه الثلاثية إلى يومنا مرجعاً، في البحث عن تفاصيل في حياة تروتسكي أو المرحلة التي عاصرها، وقد اشتغل فيها دويتشر على بناء الشخصية التاريخية وكأنه يكتب رواية، فاهتمّ بمشاعر تروتسكي وأفكاره وانفعالاته، ورسم علاقته مع محيطه بعناية، مما جعل من سيرة تروتسكي باجزائها الثلاثة الضخمة اشبه بقطعة من الحياة.

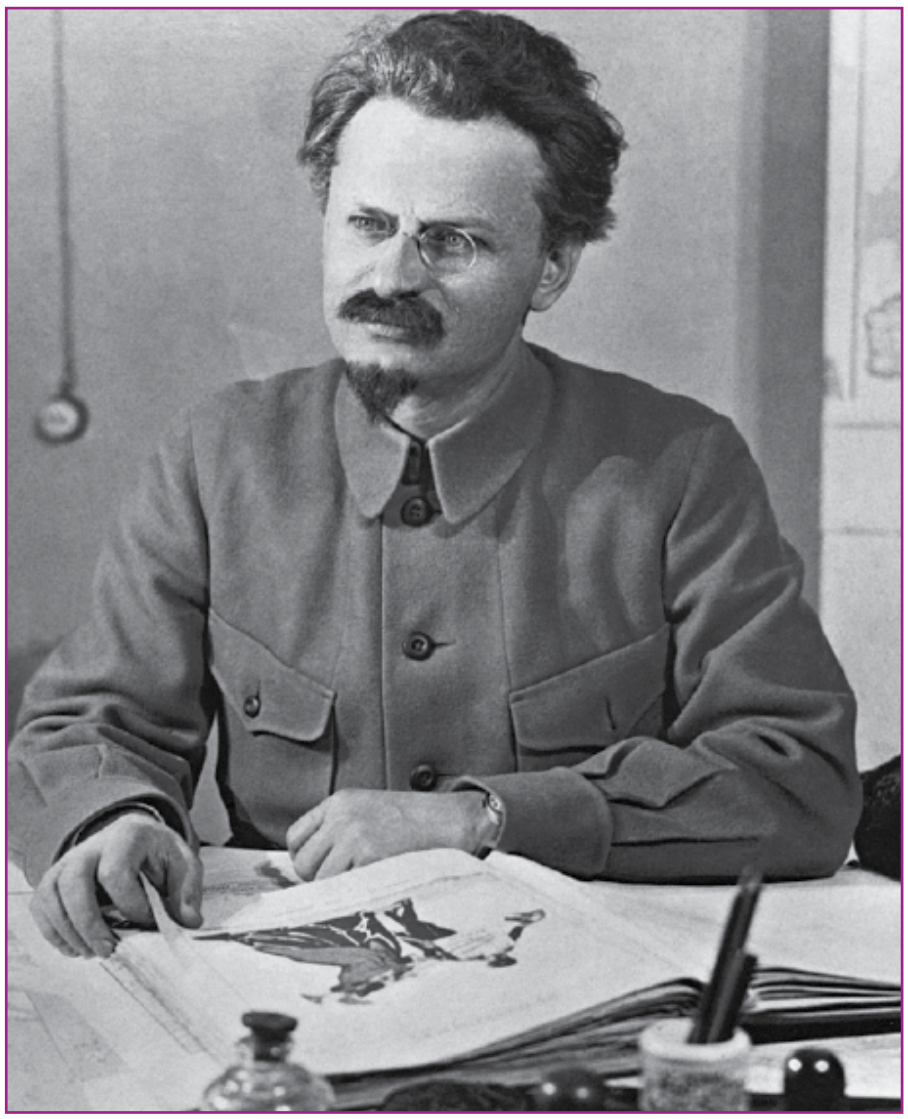

ليون تروتسكي

"حياتي: محاولة في كتابة سيرة ذاتية".

ارتبط اسم ليون تروتسكي بكافة المحطات الرئيسية للثورة في روسيا، سواء الثورة الأولى عام ١٩٠٥ التي أجهزت عليها القيصرية بالقمع والاعتقال والنفي والإعدامات، أو ثورة العام ١٩١٧ التي انتصرت على القيصرية وظلّت تنبض بالحياة طيلة سنوات حتى صعدت الستالينية على أنقاضها في منتصف العشرينيات.

منذ حياته السياسية المبكرة، ظلّ المؤلف يدافع عن الثورة الاشتراكية، بالنضال السياسي والنظري والأدبي، كحلٍّ جذريٍّ وحيد لمعاناة عشرات الملايين من الفلاحين والعمال والمُهمَّشين الروس من الاستغلال والاضطهاد والقمع. أخذ يخوض في سجالات نظرية وسياسية أولًا ضد الأفكار الإصلاحية الّتي دعتْ للمواءمة مع النظام القيصري، راعي الإقطاع والرأسمالية، وإدخال إصلاحات فيه لا إسقاطه، وثانيًا ضد أفكار وممارسات الإرهاب الفردي التي تستبدل نضال الجماهير ولا تؤدي في نهاية المطاف إلا إلى توطيد أركان النظام.

برز ليون تروتسكي في ثورة ١٩٠٥ كقائد ورئيس مُنتَخَب لسوفييت مدينة بطرسبورج (عاصمة روسيا آنذاك)، ذلك المجلس الذي أسّسه العمال من مندوبين اختاروهم بالانتخاب من مواقع العمل والأحياء كجهاز قيادي وتنظيمي للثورة. مُنِيَت هذه الثورة بالهَزيمة إثر الضربات القاضية الّتي سدَّدتها لها القيصرية، وبحلول منتصف العام ١٩٠٧ بات من الواضح أن هذه الموجة من الثورة قد انتهت بالكامل. كان المؤلف وقتذاك في منفاه السيبيري، الذي تمكّن من الهرب منه إلى أوروبا، ليواصل النضال بقلم في يده؛ يكتب ويحرِّر ويصدر الصحف، ويسعى جاهدًا للحفاظ على تراث الثورة المهزومة واستخلاص خبراتها من أجل المستقبل، محاولًا أيضًا الاشتباك في المعارك الصغيرة التي أخذت في التصاعد شيئًا فشيئًا بعدما ابتلعت الجماهير مرار الهزيمة.

واصَلَ تروتسكي هذا النضال بدأب وثبات من منفاه الأوروبي، بينما كانت النضالاتُ في الداخل الروسي تتكثّف في الأفق في مسار يُنبئ بثورة على الأبواب (بالأخص في الفترة من ١٩١٢ إلى ١٩١٤)، إلى أن اندلعت الحرب العالمية الأولى لتقطع هذا المسار وتُشوِّش الجماهير وتُلطِّخ الأجواء بصبغة قومية سَمَحَت للقيصرية الروسية –كما لأغلبَ دول أوروبا– بتدشين حملاتٍ من القمع تكبت بها النضالات الجماهيرية.

انخرط المؤلف في النضالات المحلية للحلقات والأحزاب الثورية في أغلب البلدان التي مرَّ عليها. لكن المنفى لم يكن يعني أن المؤلف كان بعيدًا عن مُتناوَل القمع، إذ لاحقته الشرطة السرية القيصرية أينما كان، وأخذت في أكثر من بلد تُحرِّض السلطات المحلية على معاقبته وطرده. ونتيجةً لذلك، كما نتيجةً لنشاطه الثوري بالطبع، حُكم عليه غيابيًا بالسجن في ألمانيا عام ١٩١٥، وفي العام التالي طُرِدَ من فرنسا، فرَحَلَ إلى إسبانيا، التي طُرِدَ منها هي الأخرى في العام نفسه متجهًا إلى نيويورك حيث

مَكَثَ هناك فترةً وجيزةً حتى تمكّن من العودة إلى روسيا بعدما أطاحت الثورة بالقيصر ورجاله في فبراير ١٩١٧.

لدى عودته، قابَلَ المؤلف ترحيبًا واسعًا في أوساط الثوار، على خلفية سمعته كقائد لسوفييت العاصمة في الثورة الأولى ونضاله المتواصل مذاك الحين، لكنه قوبلَ أيضًا بتوجُّس حذر من الإصلاحيين الذين أرادوا توقيف الثورة عند حدِّ إسقاط القيصر دون استكمالها لتضرب الأسس الطبقية لكافة مظالم المجتمع الروسي. ولم تمض إلا بضعة أشهر حتى انتُخِبَ ثانيةً رئيسًا لنفس السوفييت الذي تشكَّل من جديد في ١٩١٧ استنادًا لخبرات الثورة الأولى، والذي احتذت به كافة المدن الروسية لتأسيس سوفييتاتها. قاد تروتسكي الثورة الروسية، دعايةً وتحريضًا، جنبًا إلى جنب مع لينين وغيرهما الكثيرين، حتى تمكّنت السوفييتات من الاستيلاء على السلطة بزعامة الحزب البلشفي في أكتوبر.

ترأس تروتسكي الوفد الروسي في مفاوضات بريست ليتوفسك، كمُفوَّض للشؤون الخارجية، من أجل انسحاب روسيا منَ الحرب العالمية، كمطلب شعبي نادت به الثورة. خاض في هذه المفاوضاتِ بعضًا من أقوى السجالات وأشدِّها حدَّة ضد أباطرة وجنرالات ودبلوماسيي أكبر قوى أوروبا الإمبريالية، دفاعًا عن ثورة وعمال وفلاحي روسيا في تحقيق السلام. وبعدما وضعت الحرب العالمية أوزارها، بما تكبَّدته روسيا من خسائر فائقة لأجل أن تنعم بالسلام، دعمت أوروبا جنرالات القيصر السابق بجيوش كبرى (في ما عُرِفَ إجمالًا بالجيش الأبيض) لسحق السوفييتاتَ في حرب أهلية استمرت من العام ١٩١٨ إلى ١٩٢١. وفيَّ مواجهة الغزو الأجنبي، توجَّه المؤلف لبناء جيش الجمهورية السوفييتية.

لم تكن لدى تروتسكي خبرةٌ عسكرية تُذكَر إلا من خلال عمله كمراسل صحفي أثناء الحرب العالمية. واجَهَته الكثير من المصاعب في التقنيات والتدريبات العسكرية اللازمة للعمال والفلاحين المتطوّعين في الجيش الأحمر الوليد. ومن أجل مواجهة جيوش مركزية جرَّارة فائقة العسكرة، أدخَلَ تروتسكي انضباطًا صارمًا داخل الجيش في مراحل لاحقة من بنائه. لكن هذا الانضباط لم يكن مبنيًا قط على الولاء الأعمى أو الخوف من بطش القيادات أو المنطلقات الوطنية المجردة، بل على التماسك السياسي على قيم ومبادئ الثورة الاشتراكية والحماس الشعبي للدفاع عنها. أمضى تروتسكي السنوات الثلاث لهذه الحرب في ما عُرِفَ بـ"قطار الحرب"؛ يجول جبهات القتال جيئةً وذهابًا، ويلتقي الضباط والجنود في كلٍّ كتيبة؛ يخطب فيهم ويُحدِّثهم ويناقشهم. وفي القطار، يعقِد الاجتماعات ويُجري الاتصالات ويكتب ويحرر ويصدر منشورات الجيش وصحيفته السياسية. يسرد المؤلف في هذا الكتاب عددًا كبيرًا من القصص التفصيلية لفَرَق من الجنود أرعبهم القتال وزعزع عزيمتهم، لكنهم يتقدَّمون في صدارة القتال دفاعًا عن الثورة بعد نقاشه هو والضباط معهم. النقاش والإقناع والتماسك السياسي، كان هذا هو الأولوية الأولى في بناء الجيش الأحمر وسبيله في تحقيق الانتصار تحت قيادة تروتسكي.

في كافة مراحل حياته، تصدَّر تروتسكي الدفاع عن الثورة، ووَهَبَ لذلك عمره بأكمله منذ بدأ النضال السياسي في ١٨٩٧ (كان في الثامنة عشر من عمره). كان ذلك دفاعًا سياسيًا عنها كخيار لابد منه حتى في أقسى فترات الركود الجماهيري، ودفاعًا سجاليًا ضد خصومها وأولئك الذين ابتغوا تبديدها بمجرد أن بدأت، ودفاعًا عسكريًا حين تطلَّب الأمر ذلك خلال ثلاث سنوات من الحرب الأهلية، وحتى دفاعًا تاريخيًا لم يتوانَ عنه بقية حياته في مواجهة تزييفات وافتراءات الستالينية.

من مقدمة كتاب « حياتي » ليون تروتسكي: " – ترجمة أشرف عمر

مفكر وثوري روسي من عائلة تعمل بالزراعة في أوكرانيا

"ليون تروتسكي" قصة مأساوية طويت قبل أن تكتمل

هلال الحارثي

تطلب مني تناول الحديث عن شخصية "ليون تروتسكي" البحث الموسع في بطون العديد من الكتب والمراجع بين مكتبات موسكو وسانت بطرسبورغ (عاصمة روسيا القديمة) لما تحتويه هاتان المدينتان العظيمتان من مكتبات عظمى تكتنز أمهات الكتب والمراجع والمصادر النادرة، وسؤال المفكرين والباحثين والمهتمين بالشأن الروسي. ولم يدفعني لاستعراض صفحات حياته شيء أعظم من كاتب بولندي من خلال رواية جاءت في ثلاثة أجزاء وهذا الأمر جعلني أعقد العزم على مزيد من البحث والإصرار.

ولقد كانت أفكار ليون تروتسكي كأفكار الزعيم الشيوعي "لينين" الذي عرف بمنظر الشيوعية في روسيا وفي العالم. وقائد ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى في روسيا، كما شكل كل منهما جزءا هاما من أفكار الأمة السوفييتية وإيديولوجيه متكاملة لدول عدة، ولمعسكر اشتراكي حتى وقت قريب عندما انهار الإتحاد السوفييتي. ومع ذلك فما زالت أفكاره وآثاره ومؤلفاته تشغل بال العديد من الباحثين في إيديولوجيه الاشتراكية العلمية والفكر السياسي المعاصر. كما أن الرأي العام الروسي يتباين وينقسم إلى قسمين حوله، حتى الكتاب والمفكرين والمؤلفين على فريقين عندما يتناولون الحديث عنه منهم من يصفه بالمناضل ومنهم بمن يصفه بالثوري الخائن. وخير دليل على ذلك نفيه وطرده من بلاده أكثر من مرة بتهمة الخيانة والتجسس، إلى أن تمت ملاحقته وقتله في المكسيك. وفي المقابل تقرأ كتبا ألفت عنه حتى بعد رحيله والتي وصفته بالمفكر والمناضل حتى أن الكاتب البولندي (إسحاق دايوتشر) كتب عن سيرة حياته رواية جاءت في ثلاثة أجزاء كما أن سمعته بالخارج أكثر من روسيا بدليل ظهور ثورات في عدد من بلدان أوروبا باسمه "الثورة التروتسكية". كما تتوفر العديد من آثاره وكتبه حتى الآن في مكتبات موسكو.

وليون تروتسكي هو ليف دافيدوفيتش برونشتاين المولود في مقاطعة "خريسون" في أوكرانيا يوم السابع من أكتوبر عام ١٨٧٩من عائلة تعمل في الزراعة، مرت حياته بالعديد من المحطات ما بين النفي والانضمام إلى الأحزاب المعارضة وتأسيس الاتحادات والاعتقالات والتظاهرات والهرب بين بلاد العالم خوفا من الاعتقال – ولو المقام يسمح لنا بالتفاصيل لأسهبنا في وصف هذه المحطات المليئة بالعديد من المواقف الصعبة التي واجهها خلال حياته – ولعل الفرصة تسنح لنا في أعداد قادمة في الخوض والتوسع في البحث في طيات هذه الشخصية.

ويأتي في نهاية هذه المحطات وضمن الحملة السوفيتية للقضاء عليه وعلى أسرته ذهب ابنه الأصغر (سيرجي) ضحية حملة تصفية واسعة في الاتحاد السوفييتي استهدفت أتباعه وعوائلهم. ومات ابنه الأكبر (ليون) في فبراير عام ١٩٣٨في باريس، وتمكن رجال "منظمة الشرطة السرية" السوفييتية من تصفية كل أفراد أسرته وأتباعه وعوائلهم في أسبانيا وفرنسا وسويسرا. وفي عام ١٩٤٠م قام رامون ميركادار "جاكسون" باغتياله في منزله في المكسيك. بينما كان على وشك الانتهاء من كتابة "سيرة حياة ستالين". هذا ورغم المآسي الشخصية المدمرة التي عاشها هو ذاته، والتي لا تنفصل بتاتا عن المأساة العامة لقوى الثورة في مرحلة تاريخية كاملة، إلا أنه كان يحمل تفاؤلا، هذا التفاؤل فسَّره "دويتشر" في الفصل الأخير (الانتصار في الهزيمة) بقوله إن تروتسكي كان يطبق المقياس التاريخي الكبير على الأحداث وعلى قدره الخاص به، معتبرا أنه حين يتعلق الأمر بالتغييرات الأكثر عمقا في النظام الاقتصادي والثقافي، فإن ٢٥عاما تزن في التاريخ أقل مما تزن ساعة في حياة إنسان، كما أنه إذا قيس ما أنجزه المجتمع السوفيتي، بهذا المقياس، فهو لا شك بداية متواضعة جدا لكنها تبرر الثورة والتفاؤل الأساسي حيالها وتبدد الضباب الكثيف للإحباط واليأس. كما أنه قد عبر عن هذه الرؤيا المشرقة لمصير الإنسانية في وصيته بالذات، التي خطها قبل أشهر من مصرعه في منفاه بالمكسيك، والتي اختتمها بهذه الكلمات: وصلت "ناتاشا" لتوها من الساحة إلى الشباك وفتحته على مصراعيه كي يدخل الهواء بحرية إلى غرفتي. أستطيع أن أرى الرقعة النّيرة الخضراء من العشب تحت الجدار والسماء الصافية الزرقاء فوقه، وضوء الشمس في كل مكان. كما قال: الحياة جميلة، فلتنظفها الأجيال القادمة من كل شر، ومن كل اضطهاد، ومن كل عنف وتستمتع بها كليا. أيضا نرى أن تفاؤله هذا، والذي تطور إلى رؤيا شعرية مفعمة بالضوء، ربما بلغ درجته المثلى في الكلمات الأخيرة التي نطق بها، وهو يلفظ أنفاسه: تشبه حياة "تروتسكي" واحدا من تلك القبور المصرية القديمة التي يعرف الناس أنها ضمت في الماضي جثمان رجل عظيم ورواية منجزاته المحفورة على ألواح من ذهب، إلا أن لصوص مقابر ومخربي آثار عاثوا في الضريح فسادا وتركوه فارغا وموحشا إلى درجة أنه لم يعد ثمة أثر واحد للألواح التي كان يتضمنها سابقا.

عن جريدة الرياض

حياة ثوري ارتقت الى مصاف أسطورة

ترجمة: عباس المفرجي

اسم الكتاب:

ليون تروتسكي: حياة ثوري

المؤلف: جوشوا روبنستاين

((تفسير للقرن الحادي والعشرين)) يقول التعريف على غلاف الكتاب الورقي. كان رد فعلي الأول تساؤلا عمّا إذا كان القرن الحادي والعشرين يحتاج الى تفسير جديد لتروتسكي، أو حتى إن كان تروتسكي بحاجة الى سيرة جديدة عنه. لدينا مسبقا المجلد الكلاسيكي الثلاثي الأجزاء لإسحق دويتشر، ووجهة نظر روسية (سوفييتية سابقة).

من ديمتري فولكوغونوف، وفقط قبل بضع سنوات، كتاب عن قاتله من تأليف برتراند بانيود وسيرة روبرت سيرفز، متوسطة الحيوية، ربما، لكنها بحث غني وأكبر مرتين من هذا الكتاب الجديد لروبنستاين.

مع رحيل الاتحاد السوفييتي ونهاية الحرب الباردة، السؤال القديم ما إذا كان تروتسكي سيؤدي وظيفته أفضل من ستالين، لو قُدِّر له النصر في صراع الزعامة في العشرينات، فقدَ بعضا من بريقه ؛ على كل حال، الدليل على ان تروتسكي، كذلك، كان سيمارس عنفا متطرفا، يبدو غامرا. في المشهد العالمي، حلّ الإرهاب الاسلامي محل التهديد الشيوعي، بحيث انه شغل بال العالم الغربي، خصوصا الولايات المتحدة، في فترة مابعد الحرب الباردة. في روسيا ما بعد الاتحاد السوفييتي، حالة تروتسكي كعدو للشعب رقم واحد تم نسيانها تماما. حين تقصّيت عن تروتسكي في غوغل الروسية، الشيء الرئيسي الذي وجدته عنه كان بأنه كعشيق فريدا كالو لفترة وجيزة في المكسيك، فهو واحد من شخصيات فلم "فريدا" (٢٠٠٢)).

بنظرة أكثر قربا الى كتاب روبنستاين، لاحظت شيئا يبعث على الاستغراب: إنه نشِر في سلسلة "حيوات يهودية"، الى جانب كتب عنَ الملك سليمان وموسز مندلسون. ربما هذا هو التفسير الجديد للقرن الحادي والعشرين، كما تحزرت: قد يكون هذا عسيرا على تروتسكي، بما انه كان يعبّر باستمرار عن كرهه لتصنيفه كونه يهوديا، لكنه بلا شك متفق مع نزوع هذا القرن الى الرؤية بموشور يهودي للتاريخ والشخصيات التاريخية.

يثبت في النهاية، بأي حال، أن روبنستاين لم يمش حقا في درب "حيوات يهودية". مع مزيج دقيق من الاحترام والندم، يسلّم بعناد تروتسكي وثباته على رفض اليهودية كهوية ولا يحاول الضغط عليه في هذا الموضوع. كي لا ينسى، يومئ بين الحين والآخر الى موضوع "حيوات يهودية"، مشيرا الى مناسبات مختلفة كان تروتسكي يكف فيها عن تعريف نفسه كيهودي، لكنه يفعل ما بوسعه لتحديد شيء ما يهودي في تعليقاته الغاضبة على محاكمة القاتل اليهودي لبيليس (التي اثارت غضب الجميع في اليسار)، ومسلكه في مطعم يهودي في البرونكس (رفض أن يمنح الساقي بقشيشا، لكن ذلك كان يبدو مسألة مبدا أكثر ما هو إقرار بالتضامن الإثني). عموما، يترجم روبنستاين، على كل حال، حياة تروتسكي كحياة يهودية فقط من ناحية أنه ينحدر من ابوين يهوديين وان الاخرين ــ بوجه خاص النازيين ـ كانوا يرونه يهوديا ويؤمنون أن العرق دسّاس، مهما يكن.

بدأتُ بكتاب السيرة هذا بمزاج من الشك، بفضل تأطير الناشر له، لكنه في الواقع مقروء ومتوازن معا، فهو تفسير معقول ظاهريا للرجل في زمانه. روبنستاين ليس مواليا لأي جانب في حروب تروتسكي. إنه يرى الأشياء التي تعجبه في تروتسكي والأشياء التي يأسى لها. بسعيه الى فهم كيف كان تروتسكي يرى العالم، بينما هو لا يشارك هذه الرؤية، يبلغ مزيجا من التعاطف والبعد النقدي اللذين يحتاجهما كل كاتب سيرة جيد.

يعرض لنا كتابه تروتسكي في شبابه، متألقا ومتغطرسا، الثائر، على نحو مذهل، في المناسبة الثورية في عام ١٩٠٥، ثم ثانية في عام ١٩١٧. إنه يعرض لنا تروتسكي مهندس الانتصار في الحرب الأهلية، مع التقدير لصلابته وحجم إنجازه كقائد حرب. وهو يعرض لنا تروتسكي السياسي قليل الكفاءة في الصراع من أجل الخلافة، مكبوحا، بسبب الكبرياء أو شيء آخر، من التحرك للمطالبة بعرش لينين، والذي يبخس قدر ستالين لأنه لم يكن من نوع تروتسكي المثقف. (بالطبع، هذه التفسيرات ليست جديدة لكنها معقولة ومطروحة للنقاش بأفضل صورة). نرى تروتسكي، المفعم بالسخط الشديد، أول من يُنفى الى آلما– آتا، ثم يُطرد من الاتحاد السوفييتي، ليواجه الصدّ من نظام ديمقراطي اوروبي بعد الآخر حين قدّم طلبا للإقامة.

الحدث الأخير تمَّ في المكسيك، فبعد مطاردته لسنوات، اقدم واحد من عملاء ستالين على قتله بمعول ثلج في عام ١٩٤٠. في كتابه، يقلل روبنستاين من شأن الصدمة من خلال تضمينه اكتشافا جديدا: أمنية تروتسكي اليائسة في الحصول على تأشيرة دخول الى امريكا، التي قادته الى اقتراح القيام بمحادثات، ليس فقط مع السفارة الامريكية في مكسيكو، بل أيضا مع مارتن ديس من إدارة لجنة النشاطات غير الامريكية. (الاكتشاف لوليام تشايس، كما ينسبه اليه روبنستاين).

لكن روبنستاين لم يكن يرغب في الحط من شخصية تروتسكي: بالأحرى، أنه يرى في حياته تراجيديا بالمعنى الكلاسيكي ـ شيء نشأ على نحو متصلب من نوع الشخص الذي كان عليه. لم يمكنه أبدا أن يعلن ارتداده عن الثورة، و ((هذا الولاء الذي لا يقبل الشك، رغم كل المعاناة التي ابتلي بها، وتحمّلها، يشكّل جوهر المأساة في واقع حياته)).

انتهى بي الأمر الى الموافقة تقريبا على الزعم بأن هذه السيرة هي ترجمة عن تروتسكي للقرن الحادي والعشرين ــ بمعنى ــ تفسير لعالم ما بعد الحرب الباردة الذي كان تروتسكي فيه جزءا من التاريخ، لا السياسة. ربما روبنستاين نفسه هو رجل القرن الحادي والعشرين الذي لازالت الثورة الروسية تعني بالنسبة اليه الكثير، لكن سيرته المتوازنة وغير المتحزبة تخبرنا بأننا جميعا في عالم ما بعد القرن العشرين، الذي انتهى فيه الاتحاد السوفييتي والشيوعية العالمية (في عبارة تروتسكي) الى كومة رماد في التاريخ، مخلفة فقط بضعة شخصيات عظيمة، تحوّلت الى اسطورة، محلّقة فوق الحطام.

منهيا هذا الكتاب، رأيت مستقبلا لتروتسكي في سيرة حياة رائجة كسيرة نابوليون في القرن العشرين، البطل المتصدّع الذي يحلّق وفي النهاية يتحطم. نابوليون لا يُنسى، ولو فقط بمزية هروبه من إلبا ؛ نفس الأمر يجري على تروتسكي ولو فقط بسبب معول الثلج. بالارتقاء الى مصاف اسطورة على مرّ العصور، تجاوزت حياة تروتسكي زمنه. هذا ربما كان سيرضي غروره، لكنني أميل الى الاعتقاد بأنه كان سيزعجه، كماركسي جدّي، بالقدر الذي سيزعجه تضمينه في "حيوات يهودية».

عن صحيفة الغارديان

نتفليكس تغتال «تروتسكي» مرتين!

سعيد محمد

كنجم ساطع، بقي ليف برونستين الشهير بليون تروتسكي في سماء السياسة العالمية طوال النصف الأول من القرن العشرين حتى اغتياله عام ١٩٤٠ في منفاه المكسيكي على يد عميل للمخابرات السوفياتيّة، وبأمر من جوزيف ستالين. لا تختلف المصادر التأريخيّة سواء المؤيدة أو المعادية له، على دوره الاستثنائي إلى جانب لينين في نجاح ثورة أكتوبر ١٩١٧، حتى قال أحدهم بأنه إذا كان لينين عقل الثورة وفيلسوفها، فإن تروتسكي كان المنتج المنفّذ للثورة وقائدها العسكري وخطيبها المفوّه.

تروتسكي، وهو لقب حركيّ غلب عليه منذ كان في الثالثة والعشرين من عمره استعاره من كنية أحد سجّانيه، عاش حياة مفعمة بالدراما كان مسرحها العالم كلّه. بعد عداء مع البلاشفة الثوريين الروس، التحق بهم، وصنع معهم ثورة غيّرت وجه العالم ودفعت الحكومات البورجوازيّة إلى فرض حصار خانق على روسيا ودعم ثورة مضادة دامية فيها بمشاركة جيوش ٢١ دولة. كما شرّعت الباب لإطلاق حركات فاشيّة شعبوية تضعها في مواجهة الموجة الثوريّة الماركسية في الشارع. حركات ما لبثت أن تسبّبت للكوكب في مأساة الحرب العالمية الثانية. بعد النجاح الأوّلي للثورة، تولى تروتسكي تأسيس الجيش الأحمر الذي خاض مواجهات هائلة مع قوات الرجعيّة الروسيّة الأفضل تدريباً وتجهيزاً، وحقق بقيادته انتصارات مشرّفة.

لكن تروتسكي لم يكن مجرد ثوريّ شجاع، بل كان أيضاً مفكراً وكاتباً، عاش شطراً من حياته بعد نفيه من قبل النظام الستاليني عام ١٩٢٩ معتمداً على عوائد مبيعات كتبه ومقالاته. وبحسب الرّوايات التاريخيّة، فإن لينين في أيّامه الأخيرة كان يرغب في تسليم السلطة إلى تروتسكي الذي أثبت شجاعة وكفاءة وقدرة في غير موقع، لكنّ البيروقراطيّ المتآمر ستالين نجح في التأثير على المكتب السياسي للحزب من خلال التهديد والوعيد وإثارة نعرة العداوة القديمة مع جناح تروتسكي قبل الثورة بل ربّما التذكير بأصوله اليهوديّة، ليتولى هو السلطة ويأخذ تجربة الثورة العمالية الناجحة الأولى في التاريخ إلى مصيرها القاتم الذي نعرف. وقتها، لم يكن تروتسكي بالشخصيّة التي تطأطئ رأسها بالتخويف. هكذا سرعان ما اصطدم بستالين وانتهى إلى الإبعاد عن البلاد التي قاتل من أجل ناسها طوال حياته.

أصبح تروتسكي بعد ذلك مرجعاً وملهماً لكل الثوريّين الذين انفضوا عن تجربة نظام ستالين حول العالم، وصوّره رفاقه كنبيّ مبجّل، وأصبحت سرديته عمّا يجري داخل روسيا وقتها مصدراً وحيداً تقريباً بالنسبة إلى الغرب. وقد تولّى كثيرون بعد اغتياله استخدام اسمه في جبهات نضاليّة عدّة كانت تجاهد لإبقاء الفكرة الماركسيّة حيّة في مواجهة التحجر الأرثوذكسيّ لشيوعيّة موسكو الرسميّة (لكن معظم هؤلاء انتهوا مقرّبين بصورة مباشرة أو غير مباشرة من المخابرات المركزيّة الأميركيّة التي وظّفتهم خلال الحرب الباردة لاختراق الاتجاهات اليساريّة وتفتيتها). ولا شكّ في أنّ اغتياله غيلة أكسبه شيئاً من هالة الشهداء في أذهان كثيرين.

حتماً كان تروتسكي شخصيّة متعددة المواهب، وبطلاً من نوع خاص، لكنّه بالطبع لم يكن نبياً كما يصوره أتباعه ومريدوه. وربّما لم تكن مساهماته الثوريّة على الصورة التي وضع نفسه بها كما في كتابه الضخم عن تاريخ الثورة الروسيّة الذي ظلّ لفترة طويلة مرجعاً أوّل في غياب روايات لأطراف ثالثة. كما أنّ ستالين ليس تلك الشخصية البلهاء عديمة الكفاءة كما وصفه غريمه تروتسكي في كتاباته وبياناته السياسية. وقد احتاج المؤرخون إلى الانتظار ٥٠ عاماً أخرى حتى أمكنهم الاطلاع – ولو جزئياً – على أرشيف وثائق الحزب الشيوعي والدولة السوفياتية، من أجل بناء صورة أكثر واقعيّة عن حياة أبطال ١٩١٧ وما بعدها. لكن الطبقات الحاكمة تعيش دائماً تحت خوف مقيم من ثورة تقتلعها. ولذا، فإن ذكريات الثورات القديمة حتى بعد انقضائها بسنوات أو عقود، تظلّ تطارد مخيلتها، فتبذل غاية الجهد لطمرها تحت جبال من الكذب، ولا تخفي الحقد على رموزها. لقد بقي المؤرخون البورجوازيّون الفرنسيون يصبون جام لعناتهم على رأس روبسبير لأكثر من ثلاثة قرون بعد اقتحام الباستيل. وكان أوّل ما فعله الملك الإنكليزي تشارلز الثاني بعد عودته من فرنسا لاسترداد عرشه، أن أخرج جثة أوليفر كرومويل – قائد الجمهوريّة التي أطاحت بحكم أسلافه – من قبره وأمر بشنقها. وهذا هو تماماً حال روسيا اليوم التي يقودها بوتين كقيصر جديد يدير مجموعة مصالح القوى الرأسماليّة وطبقة الأوليغارشيين الجدد الذين صنعوا ثروتهم من سرقة مقدرات الدولة السوفياتيّة البائدة لحظة انحلالها.

لذلك، فنظام موسكو الحالي لا يخفي عداءه لثورة أكتوبر ١٩١٧ ورموزها، وقد تحدّث بوتين بصراحة حول هذا الأمر (انظر خطابه مثلاً أمام المعلمين والتلامذة الروس في ٢٠١٧). لكن الإعلام الغربي وتابعه العربي الذي يناسبه أن يحتفظ بصورة العدو السوفياتي جيّة خدمة لصناعة السلاح والحرب، يتجاهل ذلك عمداً. حتى إنّ عديدين في وقتنا الراهن ما زالوا ينظرون إلى موسكو بصفتها نصيرة الثورات والاشتراكية والفقراء. هذا النظام الذي أعاد الاعتبار لأسرة رومانوف القيصريّة، ومنح السكيّر العابث راسبوتين مرتبة قدّيس، وجد نفسه متلعثماً أمام مناسبة الاحتفال بمئويّة الثورة. كانت روسيا ربما الدولة الوحيدة في العالم التي لم يجر فيها احتفال رسمي في ٢٠١٧، بينما تداعى من تبقى من الرفاق القدامى إلى احتفالات رمزيّة بسيطة في كل مدن العالم الكبرى. ولا شك في أن الخوف من استعادة الأجيال الجديدة لسرديّة الثورة في مئويتها، كان وراء القرار بإنتاج مجموعة أعمال دراميّة ووثائقيّة تروي أحداث تلك الأيّام وفق سرديّة مضادة تخدم القيصر الجديد وأتباعه. الفريق الذي تولى فكرة إنتاج مسلسل يحكي قصة الثورة، اختار أولاً أن يكون بطلها لينين. لكن حكماء النظام رفضوا ذلك لأنهم كانوا يعرفون أنّ مكانة الرجل في قلب الشعب الروسي لم تتزعزع كثيراً واقترحوا بدلاً من ذلك صنع مسلسل عن تروتسكي بوصفه شخصية ملتبسة للعديد من الروس الذين تربى آباؤهم على أكاذيب ستالين. كما أن يهوديته قد تكون نقطة لتشويه صورة الثورة والبلاشفة وتروتسكي معاً في مجتمع تتصاعد فيه الشوفينيّة وعداء الأجانب واليهود. وهكذا كُلّفت واحدة من شركات الإنتاج الكبرى بتحضير المسلسل لعرضه على القناة الأولى الأوسع انتشاراً في التلفزيون الروسي، بينما تقرر إنتاج وثائقي أقل دراميّة عن لينين في ١٦ حلقة على أن يعرض ليلاً خارج أوقات الذروة حيث سيشاهده العجائز فقط.

النتيجة كانت «تروتسكي» المسلسل الباذخ في ثماني حلقات من بطولة الممثل الروسي قسطنطين كابينسكي، وإخراج أليكساندر كوت وقسطنطين ستاتسكي. وقد اشترت نتفليكس حقوق توزيعه العالمية ويتوافر الآن على منصتها بلغات عدة.

اللطيف أنه رغم ما بين الغرب وروسيا من عداء إعلامي ودعايات أيديولوجيّة متعارضة، وتحميل الدبّ الروسي وزر كل مصائب الكوكب من انتخاب دونالد ترامب إلى التأثير عن الانتخابات في دول العالم (الديمقراطيّ) وصعود نجم جيريمي كوربن إلى اغتيالات المعارضين مروراً بأزمات السير الخانقة وكلّ ما يخطر في بالك، فإن نتفليكس نسيت ذلك كلّه. وقد أسرعت بتبنّي أحدث منتجات الكرملين المؤدلجة ونشرتها بدون تردد عبر منصتها ليشاهدها الملايين حول العالم. لعل ذلك وحده يجب أن يسبب لنا القلق من محتوى العمل حتى قبل أن نشرع بمشاهدته.

الحقيقة أن المسلسل يكشف أوراقه من اللقطات الأولى: محاولة فاضحة تعتمد تزوير الوقائع التاريخيّة والتلاعب بالأزمنة والحقائق، والكذب البواح لتقديم صورة مغرقة بالسلبية ليس عن شخص تروتسكي وحده، بل عن لينين والبلاشفة والعمال الروس وثورة أكتوبر. حتى إنّه بمقدور الملمّ بتاريخ تلك المرحلة تسجيل هفوة مقصودة أو اثنتين في كل دقيقة من دقائق المسلسل الـ ٤٠٠.

عمد المخرجان إلى تصوير تروتسكي شيطاناً فاسداً معتم القلب تتمالكه الهلوسات، متعطشاً للدماء والعنف، مكيافيللي النّزعة في السياسة، مزدرياً للنّساء، يتعامل معهنّ كأدوات جنسيّة. وخلاصة هويته الأساس ديانته اليهوديّة، يرتدي زيّاً جلدياً كأبطال مارفيل الظلاميين، ويحمل رموزاً توراتيّة كما عبدة الشيطان. من خلال التلاعب بتاريخ الشخصيات (زوجته نتاليا سيدوفا ورفيقتاه الصحافية لاريسا ريسنير والفنانة المكسيكيّة فريدة كالو كأنهن مثقفات متهتكات باحثات عن اللذة، ستالين بطلاً للثورة وذراع لينين اليمنى، رغم أنه لم يظهر تقريباً لحظة الثورة) ومواقيت الأحداث (تقدّم أو تؤخر بضع سنوات كي تلقي بظلال قاتمة على سيرته)، وابتداع أحداث وتفاصيل خياليّة (مقابلة لم تحدث أبداً مع فرويد، أو أن القاتل كان صديقاً شخصياً له)... من خلال ذلك كلّه، يقدّم سرديّة سلبية عن القادة ومجريات الثورة (يصوّرها انقلاباً قاده تروتسكي)، ويدين العمال الروس كهمج ورعاع، بينما يجمّل صورة قاتله ويقلب قصة اغتياله للرجل في بيته رأساً على عقب حتى يكاد يكون القاتل المأجور ضحيّة ذلك الثوريّ ذي الرّوح الملعونة.

يغرف كوت وستاتسكي في «تروتسكي» من أعمال زاك سنايدر ويسرقان أجواء أعمال كريستوفر نولان حول «باتمان» سواء في صوغ ظلال صورة كاميرا المسلسل المسودة، ولون بزة تروتسكي المارفيلية الجلديّة أو حتى في تفسير التحوّل الذي أصاب الشاب المتحمّس ليف برونستين ليتحوّل إلى شخصية تروتسكي الظلاميّة كأنه بروس وين وقتما صار «باتمان».

أثار عرض المسلسل غضباً واسعاً في الأوساط اليساريّة، وألقى التروتسكيون المعاصرون ــ الذين ربما لو عرف معظمهم تروتسكي لأنكرهم ـ قطعاً من الشتائم على بوتين وحاشيته الفاسدة وإعلامييه عديمي الموهبة. لكنهم في مجموعهم محدودو التأثير، وليس لهم صوت مسموع. والحقيقة أنّ نظام موسكو نجح بالفعل من خلال هذا المسلسل في إيصال سرديّة مسمومة عن ثورة ١٩١٧ وأبطالها إلى ملايين الروس من الأجيال الجديدة التي لا تعرف تاريخها. وقد ساندته الأميركية نتفليكس تالياً في تمرير تلك السرديّة لبقيّة الشعوب، ليتكرر على أيديهما اغتيال تروتسكي مجدداً: هذه المرّة معنوياً، بعدما كان ستالين تولّى تصفيته جسديّاً. رسالة بوتين للشعب الروسي وللآخرين عبر نتفليكس من تروتسكي – المسلسل: «لا تفكّروا بالثورة. الثورة سيئة، والثّوار شياطين وأوغاد»

عن الاخبار اللبنانية

تروتسكي والحب والنهاية المفجعة

د. مصدق الحبيب

ليون تروتسكي، واسمه الحقيقي لف ديفدوفج برونستين المولود عام ١٨٧٩ في يانوفكا (أوكرانيا حاليا) هو الثائر الماركسي وأحد ابرز قادة ثورة اوكتوبر السوفيتية. بدأ نشاطه السياسي المناوئ للقيصر منذ صباه فنُفي الى أواسط آسيا وسيبيريا، ومن هناك هرب الى إنكلترا وتنقل بين عدة بلدان كسويسرا وفرنسا واسبانيا. وكان في كل مرة يُطرد من بلاد، يجد بلادا أخرى يهاجر اليها. كان قد التقى بفلاديمير لينين أيام المنفى في لندن واصبح صديقا وحليفا له كقائد بلشفي رغم انه كان يميل فكريا للمناشفة. عاد مع لينين الى موسكو عند تفجير ثورة أكتوبر عام ١٩١٧، فعينه لينين وزيرا للخارجية، ثم قائدا سياسيا للجيش الأحمر. وهكذا بقي عند موضع ثقة واعتماد لينين الذي كان يفكر ان يجعله خليفة له، لكن تدهور صحة لينين عام ١٩٢٢ ووفاته عام ١٩٢٤ قلبت كل الموازين وتميزت بصعود قوة وسطوة ستالين الذي كان يعتبر تروتسكي منافسا غير مرغوب فيه. فمباشرة بعد رحيل لينين شن ستالين حربه التدريجية ضد تروتسكي فبدأ بتجريده من منصبه الرسمي كوزير عام ١٩٢٥، ثم فصله من المكتب السياسي عام ١٩٢٧، ثم نفاه الى مقاطعة ألما أتا النائية عام ١٩٢٨، ثم الى تركيا، وبقي يطارده الى ان جعله يهرب الى اقصى بقاع الارض خوفا على حياته فذهب الى المكسيك بعد مدة في فرنسا والنرويج.

في المكسيك كان الفنان التشكيلي المعروف هناك ديبكو ريفيرا قد تزوج الفنانة فريدا كالو، وكانا معا عضوين في الحزب الشيوعي المكسيكي ويميلان بحماس الى الخط التروتسكي، حتى انهما التمسا الرئيس المكسيكي لازارو كارديناس ان يوفر اللجوء السياسي لتروتسكي، فكان لهما ما أرادا. ومن هنا جاءت فرصة الانتقال الى القارة البعيدة، فسافر تروتسكي وزوجته نتاليا سدوفا على ظهر ناقلة نفط الى المكسيك فكانت فريدا في استقبالهما في الميناء ولم يرافقها وقتذاك زوجها ريفيرا بسبب مرضه في ذلك اليوم. أخذت فريدا ضيفيها الى بيت يعود لها ولزوجها، وكانا قد اعداه ليكون مسكنا دائما لتروتسكي وزوجته. ومنذ ذلك الحين اخذت علاقة الأربعة تتوثق، لكن بوادر علاقة رومانسية بين فريدا وتروتسكي بدأت تنضج بعد عام واحد على لقائهما، أي في عام ١٩٣٧، وأصبحت مكشوفة لحد ما لريفيرا الذي كان موضع تندر وخصام دائم من قبل فريدا. كما اصبحت العلاقة مكشوفة أيضا لنتاليا زوجة تروتسكي التي اضطرت بعد ان نفذ صبرها ان تضع تروتسكي في قفص الاتهام وتمنحه الفرصة لاتخاذ قراره الاخير"!! كان ذلك بعد ان رسمت فريدا بورتريتا شخصيا لها واهدته الى تروتسكي في عيد ميلاده وكان البورتريه يظهرها وقد حملت باقة ازهار وكاردا كتبت فيه الى ليون تروتسكي مع كامل حبي!

عن تلك العلاقة كتبت بعدذاك سكرتيرة تروتسكي جين فان هيجنورت:

" كانا يتبادلان الغزل والدعابة باللغة الانكليزية بشكل متواصل وفاضح وعلى مرأى ومسمع نتاليا التي لم تكن تفهم الإنكليزية جيدا لكنها تستطيع بالتأكيد أن تفهم لغة الغزل والمداعبة والتلميحات الجنسية. كما كانا يلتقيان سرا في بيت شقيقة فريدا ويتبادلان رسائل الحب التي كانا يخفيانها بين صفحات الكتب المتبادلة بينهما».

كما وتقول الكاتبة جري سوتر في كتابها عن الفنان ريفيرا المنشور عام ٢٠١٤: ان نتاليا زوجة تروتسكي كانت قد طفح بها الكيل للحد الذي واجهت فيه تروتسكي واعطته الخيار الحاسم "أما أنا أو هي»!

وأما عن البورتريه، هدية الحبيبة للحبيب، فقد كتب الاديب السريالي الفرنسي أندريه برتن الذي زار تروتسكي هناك عام ١٩٣٨، قائلا: " لقد رسمت فريدا نفسها ملفعة برداء من الاجنحة تطرزه الفراشات، وقد اطلت بنفسها من بين صفين من الستائر أزاحتهما الى الجانبين.. ربما كانت تلك ستائر الدواخل وقد أزاحتها امرأة شابة خبرت معاشرة الرجال المهمين ذوي الشأن والاعتبار»

بعد اكثر من ثلاث سنين، وفي أواخر عام ١٩٣٩ كانت العلاقة الرومانسية بين فريدا وتروتسكي قد تقادمت وذوت من الداخل لكونها مجرد نزوة عابرة انقضى أوانها، مما جعل فريدا تقف الى جانب زوجها ريفيرا الذي انقلب الان لصالح الصف الستاليني أمام سخرية تروتسكي المتواصلة وتعليقاته التي كان يصفه فيها بالرجل الساذج الذي لايفهم شيئا في السياسة، رغم ضيافة هذا الرجل له وكرمه وتحمل خيانة زوجته!!

أما ستالين فلم يكف عن مطاردة غريمه السياسي حتى لو كان يعيش بعيدا بآلاف الاميال عن موسكو. ففي مايس عام ١٩٤٠ جندت مخابرات ستالين فنانا مكسيكيا متحمسا اسمه ديفد الفارو سكويار لاغتيال تروتسكي. فذهب سكويار الى بيت تروتسكي وامطره بوابل من رصاص رشاش اوتوماتيكي لكن تروتسكي لم يلحقه اي ضرر بليغ إلا ان ابن شقيقته الصبي الذي كان في زيارته اصيب بعدة عيارات نارية.

بعد ثلاثة اشهر من هذه المحاولة كانت المخابرات السوفيتية قد دفعت بالخطة- ب للتخلص من تروتسكي. ففي ٢٠ آب من عام ١٩٤٠ وبينما كان تروتسكي منكبا على القراءة خلف مكتبه، هجم رامون مركيدار وهو عميل مكسيكي محلي للمخابرات السوفيتية وهوى على رأس تروتسكي وهو مطرق بفأس حاد كان من المخطط له ان يفلع رأسه الى نصفين! يقول متحدث البوليس المكسيكي ان الفأس دخل لاكثر من انجين في جمجمة تروتسكي لكنه لم يؤد الى موته في الحال. فقد نقل الى المستشفى وفارق الحياة في اليوم التالي.

مرت الاعوام وطوت معها علاقة فريدا بالشيوعي الكبير طي النسيان لكنها لم تطو علاقتها بالشيوعية! فعند وفاتها عام ١٩٥٤ غطى الرفاق نعش الفنانة بغطاء يحمل شعار المنجل والمطرقة.

صحيفة المثقف العدد: ٥٢٦٨ في ٢٠٢١-٠٢-٠٦

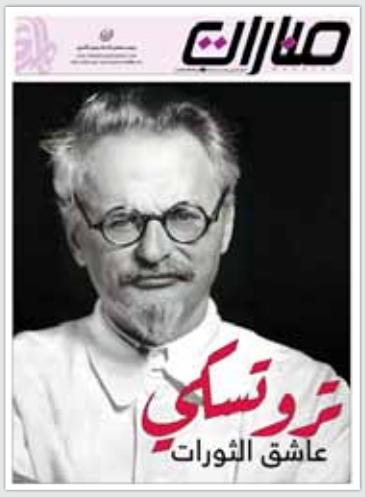

manarat

www.almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق

منارات

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

رواية «الرجل الذي أحب الكلاب» تسلّط الضوء على حياة تروتسكي

ترجمة : أحمد الزبيدي

صدرت أخيرا الطبعة المترجمة الى الانكليزية من رواية «الرجل الذي أحب الكلاب» (The Man Who Loved Dogs) وهي من تأليف الروائي الكوبي الشهير ليوناردو بادورا الذي يعيد من خلالها سرد قصة حياة الثائر والسياسي الماركسي الراحل ليون تروتسكي بأسلوب أدبي يشبه عملية النسج.

وقد نشرت صحيفة نيويورك تايمز عرضا نقديا للرواية بقلم الكاتب والناقد الروائي المكسيكي ألفارو إنريغي المقيم منذ سنوات في الولايات المتحدة. وفي التالي ننقل ما كتبه إنريغي حول تلك الرواية:

إذا كانت رواية «الحب في زمن الكوليرا» للكاتب غابرييل غارسيا ماركيز قد حولت الرواية الرومانسية الى أدب، فإن الروائي الكوبي ليوناردو بادورا – المعروف بأعماله البوليسية المثيرة للتشويق – قد وجد لنفسه مدخلا الى قانون الحداثة الاميركية اللاتينية من خلال كتابة رواية عن شخصية روسية.

فرواية «الرجل الذي أحب الكلاب» – التي نشرت للمرة الاولى في العام ٢٠٠٩ ثم صدرت أخيرا ترجمتها بالانكليزية – تسرد قصة حياة المنفى التي عاشها ليون تروتسكي مؤسس الجيش الأحمر الروسي ومفوض الشعب الروسي للشؤون الخارجية الذي اغتيل في المكسيك بتاريخ ٢٠ أغسطس ١٩٤٠. والواقع ان الروح الروسية التي تميز هذه الرواية لا تنبع فقط من طولها الذي يقترب من ٦٠٠ صفحة ومن حقيقة ان سياقها السردي يعود باستمرار الى موسكو، ولكنها تنبع أيضا من شغف الرواية ذي الطابع التولستوي للاستغراقات التاريخية والمتعة ذات الطابع الدوستويفسكي في ما يتعلق بتفحص الحياة الاخلاقية لشخصيات الرواية.

في صيف العام ١٩٤٠، نجح شخص بلجيكي يدعى جاك مورنارد في اختراق الدائرة الداخلية الخاصة بـ«تروتسكي» وقام خلال زيارة قام بها الى منزل هذا الأخير في مدينة مكسيكو سيتي بطعنه بملقط ثلج في رأسه. وعلى الرغم من ان الطعنة أحدثت ثقبا عميقا في جمجمة تروتسكي واخترقت مخه حتى منتصفه، فإنه استطاع ان يطيح بمهاجمه أرضا والسيطرة عليه ونزع ملقط الثلج من يده، وبعد ذلك سقط منهارا.

وقد قضى مورنارد السنوات العشرين التالية لذلك في سجن مكسيكي. وفي الخمسينات اكتشفت الشرطة المكسيكية هويته الحقيقية، اذ اتضح ان اسمه هو رامون ميركادير. كان اسباني الجنسية وكان قد تلقى تدريبات على أيدي جهاز الـ«كي جي بي».

والواقع ان قصة ميركادير جديرة بأن تكون موضوعا لواحد من أكثر أفلام الاثارة جموحا. فلقد تم نقله من مدينة برشلونة الى موسكو خلال فترة الحرب الاهلية الاسبانية. وما ان وصل الى هناك، ثم تحويله الى «شخص بلجيكي مثالي». وبعد ذلك تم ارساله الى باريس كي يحاول اغواء كاتمة أسرار تروتسكي، النيويوركية سيلفيا أجيلوف. ثم جرى ارساله بحرا الى نيويورك بهوية كندية. ومن هناك أسس شركة وهمية في مدينة مكسيكو سيتي التي أنجز فيها مهمته في نهاية المطاف، ألا وهي قتل تروتسكي.

وبعد قضائه عقوبة السجن لمدة ٢٠ عاما في المكسيك، عاد ميركادير ليجد استقبال الابطال في انتظاره في الاتحاد السوفياتي. وهناك تزوج من المرأة المكسيكية ستالينية التي كانت حلقة الوصل بينه وبين جهاز الـ«كي جي بي» خلال فترة حبسه. وعاش ميركادير حتى أوائل السبعينات من عمره في بناية فخمة تطل على متنزه غوركي. لكنه قضى سنواته الاخيرة في كوبا التي مات فيها في العام ١٩٧٨.

وتعيد رواية «الرجل الذي أحب الكلاب» سرد قصة حياة ميركادير بأسلوب متناسق مع لعبة القط والفأر التي لعبها ستالين مع تروتسكي منذ اللحظة التي طُرد فيها تروتسكي من الحزب الشيوعي في العام ١٩٢٧ وحتى لحظة اغتياله. والواقع انها كانت لعبة شديدة العنف. فحتى عندما نجح عملاؤه في توجيه الضربة القاضية الى تروتسكي بملقط الثلج، كان ستالين قد سمح لنفسه بترف إبقاء تروتسكي على قيد الحياة لفترة كافية كي يسمع أخبار مقتل معظم أبنائه وكثيرين من أقاربه الآخرين.

وبالاضافة الى القصص الموازية الخاصة بميركادير وتروتسكي، فإن رواية «الرجل الذي أحب الكلاب» فيها صوت ثالث، وهو صوت كوبي لشخص يدعى إيفان كارديناس، وهو كاتب محبط تنفجر حياته عندما يقابل

رجلا اسبانيا منفيا خلال سيره على الشاطئ في العام ١٩٧٦، وهذا الرجل ربما كان رامون ميركادير. ومن خلال ميركادير، يتعلم ايفان عن تاريخ القرن العشرين ويقرأ أعمال جورج أورويل وتروتسكي ويصبح على دراية بأهوال الحقبة الستالينية.

وتسرد رواية بادورا هذه القصة الثلاثية دون ان تتخلى مطلقا عن التقاليد العامة الخاصة بالاعمال الروائية. واذ تهتم الرواية بالحياة الوجدانية الخاصة بأشخاصها أكثر من اهتمامها بأدوارهم التاريخية، فإنها تنضح مع ذلك بإحساس بالواقعية، وذلك بفضل تناولها المتعمق لكمية مذهلة من المعلومات عن حياة كل من تروتسكي وميركادير. والواقع ان هذا الامر لا يعيق مسار الرواية بل يجعلها بمثابة مشروع قراءة جاد الطابع. وهنالك إيقاع يشبه أجواء قاعة المحكمة في الاسلوب الروائي الخاص بالمؤلف بادورا، وهو الايقاع الذي يشبه كما لو ان هناك حاجة ملحة لتقديم دليل قد طغت على قدرته على عرض تفاصيل رقصة الموت التي كانت بين الضحية (تروتسكي) وقاتله.

وهناك أصداء متبادلة بين القصص الثلاث المتناوبة التي تسردها رواية «الرجل الذي أحب الكلاب» وهي الأصداء التي تكتسب مزيدا من المغزى وهي تواصل رسم لوحة الفريسكو الكاملة المتعلقة بتهاوي معيار سياسي. فالمؤلف بادورا يشير الى انه على الرغم من ان شخصياته الرئيسية الثلاثة تلعب أدوارا مختلفة عن بعضها جدا، فإنهم جميعا ينتهي بهم المطاف ضحايا لآليات نظام ينبذهم جميعا ويتخلص منهم عندما لا تصبح لهم فائدة. فالثلاثة يحبون الكلاب، والثلاثة تحملوا معاناة الحبس وتقييد الحرية في السجون. لكن كل واحد منهم يصل في النهاية الى خلاصة مفادها ان إخلاصه للأفكار الماركسية قد حوله الى شبح.

عن صحيفة «نيويورك تايمز»